# شرح كتاب العلم
# من رياض الصالحين

لفضيلة الشيخ الدكتور:

علي بن يحيى الحدّادي حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد،

فيقول الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي-رحمه الله تعالى-[1]:

❖ **المتن:**

## (...كتاب العلم

## ٢٤١- باب فضل العلم تعلُّمًا وتعليمًا لله

قال الله-تعالى-: ﴿...وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ ﴿طه﴾، وقال-تعالى-: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ...﴿٩﴾﴾ ﴿الزمر﴾، وقال-تعالى-: ﴿...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ...﴿١١﴾﴾ ﴿المجادلة﴾، وقال-تعالى-: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ...﴿٢٨﴾﴾ ﴿فاطر﴾...)أهـــ.

❖ **الشرح:**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعد،

---

[1] قارئ المتن

فيقول الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي-رحمه الله تعالى-، والنووي نسبة إلى قرية اسمها (نوى) من قرى دمشق في بلاد الشام، توفي-رحمه الله-سنة ٦٧٦ من الهجرة، وهذا أحد الأعلام المشهورين الذي رزق بركة في العمر ورزق أيضًا بركة في التأليف، فاشتهرت كثير من مؤلَّفاته وشاعت، وهذا-إن شاء الله-دليل على حسن قصده وحسن نيَّته في نشر العلم.

ومن أشهر كتبه ومن أنفعها شرحه على صحيح مسلم، فهذا الكتاب مِمَّا ينبغي أن يحرص عليه طلَبة العلم الذين يريدون أن يتفقَّهوا في سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلَّم-.

ولكن! كما هو الحال في الضعف البشري والنقص أنَّ العالم مهما بلغ في العلم والفهم إلَّا أنَّه قد يخفى عليه شيء، وقد يجهل شيء.

فإذا وقع العالم المعروف بتعظيمه لكتاب الله ولسنَّة رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-في شيء من الزلل والخطأ فإن العالم لا يتابع في خطئه هذا، ولا يُوَافَق على زلَّته، وفي الوقت نفسه لا تهدر مكانته، ولا يتَّخذ من غلطه سلَّمًا للطعن فيه والتنقُّص من مقداره.

فالنووي-رحمه الله-في شرحه لهذا الصحيح-صحيح مسلم-وقع منه تأويل-تأويل مذموم-لبعض صفات الله-عز وجل-، فمثل هذا الجانب يتَّقى ويجتنب، ويستفاد وينتفع من كتبه وتقريراته، وذلك لأنَّه-كما قلنا-عالم من علماء هذه الأمَّة الذين عرفوا بالحرص على كتاب الله وعلى سنَّة رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-.

ومن كتبه التي شاعت وعمَّت الفائدة بها كتابه رياض الصالحين، وهذا الجزء الذي ندرسه في الدورة[٢] المختصرة هو أحد الأبواب أو الكتب التي ضمَّنها هذا الكتاب المبارك وهو كتاب العلم، هذا أحد كتب رياض الصالحين لأنَّه قسَّمه على الكتب، فجعل كتاب

[٢] الدورة العلمية الأولى في قطر لعام ١٤٣٢

للذكر، وجعل كتاب للعلم، وجعل كتابًا للجهاد، وطريقته كما هو معروف أنَّه يذكر العنوان ثمَّ يورد تحت العنوان آيات مناسبة، ثمَّ يذكر بعد ذلك جملة من الأحاديث عن نبينا-صلى الله عليه وسلَّم-.

والغالب على تلك الأحاديث التي يوردها الصحَّة-أنَّها في قسم المقبول-سواءً كانت من باب الصحيح أو من باب الحسن، وهناك جملة من الأحاديث الضعيفة وقد نبَّه عليها أهل العلم كالإمام الألباني-رحمه الله تعالى-.

ومن العادات الطيِّبة أن كثير من الأئمة-أئمة المساجد-يقرؤون من هذا الكتاب على الناس سواء بعد صلاة العصر أو غيرها، ولا شك أن هذه عادة طيِّبة فيها نشر للعلم.

ولكن! مِمَّا ينبغي لهذا الإمام-لهذا القارئ-الذي يقرأ على الناس أن يكون عنده إلمام بشيء من معاني هذه الأحاديث والآيات التي يقرؤها على الناس حتَّى يبيِّن لهم معانيها.

أمَّا قراءة الآيات وقراءة الأحاديث على الناس فإن الفائدة من مجرَّد قراءتها فقط لا شك أنَّها لا تعدل الفائدة التي ترجى من الجمع بين قراءة النصوص وبيان معانيها للناس.

فالنصيحة لنفسي ولطلبة العلم-أئمة المساجد-إذا قرؤوا على الناس مثل هذه النصوص ومثل هذه الكتب أن يجتهدوا أولًا: بالإطلاع على كلام أهل العلم في تفسير تلك الآيات، الاطلاع على كلام أهل العلم في معاني تلك الأحاديث، ويوضحوها للناس بأسلوب مختصر ميسَّر.

قال المؤلِّف-رحمه الله-: (...**كتاب العلم**...)، (الْكِتَاب) على وزن فِعَال بمعنى: مفعول، بمعنى: مكتوب، يعني: هذا مكتوب في العلم، و (الكَتْب) في لغة العرب معناه: الْضَّمْ والجمع، وذلك أن المؤلف يجمع في هذا الكتاب المسائل التي يجمع بينها الجامع فيضم

بعضها إلى بعض، يضُم الكتب، يضُم الأبواب، يضُم الجُمَل، فلهذا سُمِّيَت كُتُبًا لِمَا فيها من معنى الجمع وضمّ الشيء إلى مثله.

ولهذا بعض العرب يطلق على الخيَّاط-يطلق عليه-الكاتب، يسمُّون الخيَّاط كاتب لأنَّه يجمع بين القطعة والقطعة، ولهذا يقول بعضهم في لغز:

**وكاتِبينَ وما خطّــتْ أنــامِلُهُمْ حرْفاً ولا قرَؤوا ما خُطّ في الكُتُبِ**

يقصد به الخيَّاط.

(...**كتاب العلم**...)، العلم إذا أطلق في الكتاب في السنَّة فالمقصود به العلم الشرعي، العلم الشرعي المأثور-علم الوحي-هذا هو المقصود، فهو العلم الذي ورَّثه الأنبياء.

النبي-صلى الله عليه وسلَّم-يقول: (...العلماء ورثة الأنبياء...) الأنبياء ماذا ورَّثوا؟، ورَّثوا هذا العلم-الوحي الذي أوحاه الله-عز وجل-إليهم-، ميراث نبيِّنا-صلى الله عليه وسلَّم-على وجه الخصوص كتاب الله وسنَّته-عليه الصلاة والسلام-، فالعلم إذا أطلق في كتاب الله في سنَّة رسوله-عليه الصلاة والسلام-فالمقصود به العلم الشرعي، المقصود به العلم المأثور.

أمَّا العلوم الدنيويَّة المباحة فلا تدخل في هذه النصوص، ولكن صاحبها إن تعلَّمَها وهو يريد من تعلُّمه لها أن ينفع إخوانه من المسلمين فله أجر على تلك النيَّة الطيِّبة الصالحة، وإن نوى مجرد أنَّه يتعلم علم من أجل أن يتكسَّب من ورائه فهذا يكون من باب المباحات الذي لا يؤجر فاعله ولا يعاقب تاركه.

والعلم يقولون: هو ضد الجهل، العلم ضد الجهل تعريف ميسور وسهل، منهم من يقول: إدراك الشيء على ما هو عليه.

ثمَّ قال: (...**باب فضل العلم تعلُّمًا وتعليمًا لله**...)، باب فضل العلم-يعني-هذا باب يورد فيه المؤلِّف آيات وأحاديث تدل على فضل وشرف والمكانة العالية للعلم-يعني- العلم الشرعي.

(...**تعلُّمًا**...)، يعني: فضل تعلُّم العلم، فضل السعي في طلبه، سواءً كان هذا السعي بالبدن-يعني-ينتقل من مكان إلى مكان من بلد إلى بلد في طلبه، أو كان هذا السعي سعي معنوي كالنظر مثلًا في الكتب، السماع للدروس عن طريق المباشرة من العالم من المعلِّم، أو عن طريق الوسائل الحديثة كالأشرطة أو المواقع التي تنقل دروس أهل العلم، فهذا كلُّه من السعي المحمود في طلب العلم، والذي يدخل في قوله-صلى الله عليه وسلَّم- : (من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة).

(...**وتعليمًا**...)، يعني: وفضل تعليم العلم، فضل نشر العلم، سواء كان عن طريق التدريس، أو عن طريق التأليف، أو عن طريق إفتاء الناس، أو غير ذلك من صور التعليم.

لكن! انظر إلى القيد الذي ذكره المؤلف-رحمه الله-وذلك حينما قال: (...**لله**...).

يعني متى يكون في طلب العلم الفضل؟، متى يكون في تعليمه هذا الفضل؟، إذا كان مقصود المتعلِّم ومقصود الْمُعَلِّم وجه الله-سبحانه وتعالى-، يعني يريد الثواب من الله، هنا يكون مأجور ومثاب بإذن الله، لكن! لو فعل هذه الأمور يريد رياءً، يريد سمعة، يريد مكانة، يريد مدح، يريد حظًّا دنيويًّا فليس له إلَّا ما نوى-والعياذ بالله-.

والإخلاص لله-سبحانه وتعالى-أحد الشرطين في قبول الأعمال، لأن العلمل لا يقبل إلَّا بشرطين:

١ - الإخلاص لله.

٢ - والمتابعة لرسوله-صلى الله عليه وسلَّم-.

فإذا وجد الإخلاص لله لكن ما وجدت المتابعة للرسول كان العمل مردودًا، وإن وجدت المتابعة ولكن فقد الإخلاص فالعمل أيضًا مردود.

فعلى طالب العلم وعلى المعلِّم أن يجاهد نفسه على إخلاص النيَّة لله–سبحانه وتعالى–، فيريد من طلبه للعلم الثواب، يريد من طلبه للعلم أن يرفع الجهل عن نفسه كما فسَّره الإمام أحمد–رحمه الله–لَمَّا سئل عن الإخلاص في العلم فقال: (...أن ينوي رفع الجهل عن نفسه...)، وعن غيره أيضًا.

فتنوي بطلبك العلم أن ترفع الجهل بدين الله عن نفسك حتَّى تعبد ربك على بصيرة، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى...﴿١٠٨﴾ ﴾ ﴿ يوسف ﴾.

أمَّا إذا طَلَب العلم الشرعي لغير الله فإنَّه–والعياذ بالله–مُتَوَعَّد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّ أول من تسعَّر بهم النار ثلاثة ومنهم رجل تعلَّم العلم قرأ القرآن، فيوقفه الله بين يديه فيقول: يا عبدي ما فعلت؟، قال: يا رب تعلَّمت القرآن وعلَّمته فيك، فيقول: كذبت، إنَّما قرأت ليقال فلان قارئ، وقد قيل، خذوه إلى النار، فيجر ويؤخذ إلى النار–والعياذ بالله–، ما نفعته قراءته، ما نفعه تعلُّمه، ما نفعه تعليمه، ما السبب؟، السبب أنَّه ما أراد بعمله وجه الله، والله–سبحانه وتعالى–لا تخفى عليه خافية ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ غافر ﴾.

وفي الآية الأخرى يقول–سبحانه وتعالى–: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ ﴿ العاديات ﴾.

فهذه الأعمال القلبيَّة يطَّلع عليها ربُّنا–سبحانه وتعالى–ويجازي عبده عليها.

في الآية الأخرى يقول-سبحانه وتعالى-: ﴿ ...إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ...﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال ﴿.

فعلى طالب العلم-على المعلِّم-أن يحرص ألَّا يدخل عليه الشيطان فيفسد عليه هذه العبادة العظيمة، ومَن طلب العلم لغير الله فهو داخل في مثل قوله-تعالى-في الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

ويدخل في الحديث الذي رواه أبو داوود: (من تعلَّم علمًا مِمَّا يبتغى فيه وجه الله لا يتعلَّمه إلَّا للدنيا لم يرح رائحة الجنَّة).

انظر إلى هذا الوعيد الشديد، عمله مردود عليه، (...لم يرح رائحة الجنَّة) يعني: لا يجد عرف الجنَّة-والعياذ بالله-فضلًا عن دخولها، (...أوَّل من تسعَّر به النار...)، هذا كله يوجب على طالب العلم أن يتعاهد نيَّته، أن يتعاهد قلبه، أن يتعاهد إرادته، حتَّى لا يذهب سعيه وعمله هباءً منثورًا.

الله-عز وجل-أخبر عن صنف من عباده أنَّهم يأتون يوم القيامة بأعمال، لكن أين يكون مصيرها؟، يجعلها الله هباءً منثورًا ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان ﴿، ما يستفيدون منه شيء! ذهب التَّعب، ذهب النَّصب، ذهب الكدح تلاشى دون فائدة ودون جدوى، ثمَّ يرمون في نار جهنَّم-والعياذ بالله-.

السورة التي يقرأها الأئمة يوم الجمعة-سورة الغاشية-، يقول الله-عز وجل-في أوَّلها: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾ يعني: قد ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ

﴿نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ ﴿الغاشية﴾، عاملة ناصبة، عملت وسعت وتعبت في دنياها لكن أين كان مصيرها؟، ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ ﴿الغاشية﴾.

لِمَ لم تستفد من سعيها ونصبها وتعبها؟، لأنَّها عملت على غير وفق الشرع، إمَّا أخلَّت بالإخلاص وإمَّا أخلَّت بالمتابعة لرسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

ثمَّ قال المؤلِّف: (...قال الله-تعالى-: ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ ﴿طه﴾...)أهـ.

أورد هذا الجزء من الآية في فضل العلم ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ ﴿طه﴾، هذا جزء من الآية يقول الله-عزَّ وجلَّ-فيها: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ ﴿طه﴾.

﴿فَتَعَٰلَى ...﴾ يعني: ارتفع، ولله ثلاثة أنواع من العلو:

١ - علو الذات.

٢ - علو القدر.

٣ - علو القهر.

علو الذات، أهل السنَّة والجماعة يؤمنون بأنَّ ربهم-سبحانه وتعالى-فوق الخلق، فوق العرش، كما قال نبيُّنا-صلى الله عليه وسلَّم-: (...أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ...)، كما قال-سبحانه وتعالى-: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ ﴿الأعلى﴾، قال-

سبحانه وتعالى-: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ...﴿٦١﴾ ﴾﴿الأنعام ﴾، أهل السنَّة والجماعة يؤمنون بأنَّ ربَّهم-سبحانه وتعالى-في السماء-يعني-في العلو.

وكذلك أيضًا له-جلَّ جلاله-علو القدر، فليس شيء أعظم ولا أكبر ولا أجل من الله-سبحانه وتعالى-.

كذلك أيضًا له علو القهر الذي قهر الخلائق، فلا يخرج شيء من الخلائق عن حكمه-سبحانه وتعالى-، نافذ فيهم أمره يصرِّفهم كيف يشاء-سبحانه وتعالى-، هو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم، وهو الذي يُحيهم، وهو الذي يميتهم، وهو الذي يتصرَّف فيهم-سبحانه وتعالى-بحكمته وبرحمته وبعدله.

﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ... ﴾، لفظ الجلالة علم على الذات المقدَّسة بمعنى: الْمَأْلُوه، لفظ الجلالة ﴿ ...ٱللَّهُ ... ﴾ معناه: الْمَأْلُوه-يعني-المعبود، لأنَّ ﴿ ...ٱللَّهُ ... ﴾ أصلها الإله، ال التعريف وإله على وزن فِعَال بمعنى: مَأْلُوه، والتَأْلُّه في لغة العرب معناه: التعبُّد.

..... سَبِّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِـــنْ تأَلُّهِـــــي

يعني: من تعبُّد، كما يقول الراجز.

فالله-سبحانه وتعالى-هو المعبود بحق الْمَأْلُوه بحق، وأمَّا من غير الله-سبحانه وتعالى-فكل ما عبد من دونه فعبادته باطلة، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، لا معبود حقٌّ إلَّا الله-جلَّ جلاله-، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ ...﴿٦٢﴾ ﴾﴿الحج ﴾.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ ... ﴾، يعني: الذي له الملك حقًّا، لا يخرج شيء عن مُلكه-سبحانه وتعالى-، المخلوق قد يعطيه الله-عزَّ وجل-الملك ولكن ملك المخلوق ناقص كَـــ لَم يكن ثمَّ كان، ملكه غير شامل، ملكه غير دائم، يؤتي الملك من يشاء ويترع الملك مِمَّن يشاء-سبحانه وتعالى-، ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾﴿ آل عمران ﴾، هو الملك-سبحانه وتعالى-في الدنيا وهو الملك في الآخرة مالك يوم الدين، مَلِكِ يوم الدين.

ثمَّ قال-سبحانه وتعالى-موجِّهًا نبيَّه: ﴿ ... وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ ... ﴾، كان النبي-صلى الله عليه وسلَّم-في أوَّل الأمر إذا نزل عليه جبريل يقرأ جبريل والرسول يقرأ وراءه مباشرة يخشى أن ينسى شيئًا مِمَّا يوحيه إليه جبريل.

فكان يجد من ذلك عناءً ومشقَّة لأنَّ الوحي ثقيل عليه-عليه الصلاة والسلام-، فأوحى الله إليه ﴿ ...وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ... ﴾ يعني: وقت تنزُّل جبريل عليك استمع وأصغ ولا تقرأ حتَّى يفرغ جبريل، فبعد ذلك تقرؤه-بعد أن يتجلَّى عنك-.

وهذا مثل قوله-سبحانه وتعالى-في سورة القيامة ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ ﴾﴿ القيامة ﴾، ثمَّ طمَّأنه ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩ ﴾﴿ القيامة ﴾، فطمأنه الله-عز وجل-بأنَّا سنتولى جمع القرآن في

صدرك فلا تنساه، فما نسي النبي-صلى الله عليه وسلَّم-شيئًا مِمَّا أمره الله لإبلاغه حتَّى يبلِّغه لأمَّته.

أمَّا بعد أن يبلِّغ الوحي قد ينسى آية فيذكَّر بها، فنحن نشهد بأنَّ النبي-صلى الله عليه وسلَّم-بلَّغ الدين كاملًا غير منقوص، ومن زعم أنَّ النبي-صلى الله عليه وسلَّم-كتم شيئًا من الدين أو أخلَّ بشيء مِمَّا أمر بتبليغه فلم يبلِّغه فهذا مكذِّب لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلَّم-.

﴿ ...وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾﴿ طه ﴾، لَمَّا وجَّهه إلى عدم التعجُّل في قراءة القرآن وقت نزول الوحي أرشده إلى هذا الدعاء العظيم فقال له: ﴿ ...وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، يأمر الله-عزَّ وجل-نبيَّه أن يطلب ربَّه المزيد من أي شيء؟، من العلم.

وهذا الأمر للنبي-صلى الله عليه وسلَّم-ولأمَّته، فإذا كان النبي-صلى الله عليه وسلَّم-سيِّد ولد آدم وخاتم النبيين والمرسلين بحاجة إلى العلم الشرعي إذن غيره من باب أولى أن يكون أحوج.

﴿ ... وَقُل رَّبِّ... ﴾، الربوبيَّة فيها معنى التربية، فهو الذي يربِّي-سبحانه وتعالى-عباده بالنعم، يربيهم ويغذِّيهم، وأجلُّ النعم هذه النعم المعنويَّة التي بها زكاة القلوب وطهارتها ألا وهو الوحي وعلم الشرع، فهذا فيه توسُّل بهذا الاسم الكريم (الرب)، والتوسُّل بأسماء الله-عزَّ وجل-وصفاته من أسباب إجابة الدعاء.

ولهذا في الحديث[3] ذكر النبي-صلى الله عليه وسلَّم-الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب يا رب، فذكر النبي-عليه الصلاة والسلام-في هذا الحديث أشياء وأسباب لإجابة الدعاء.

﴿ ... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، فالعلم من الله-سبحانه وتعالى-، الله هو المعلِّم، الله هو الْمُفَهِّم، ولكن ليس معنى هذا أن العبد يقتصر على الدعاء فقط، الدعاء سبب من الأسباب، لا بد أن ينضم إليه أسباب أخرى، يكون عندك حرص ورغبة في طلب العلم، ويكون عندك أيضًا تحصيل أسباب الحصول على العلم، الدراسة على العلماء، القراءة الصحيحة في كتب أهل العلم، تكرار النصوص والمتون حتَّى تحفظها، النظر في كلام أهل العلم حتَّى تفهمها، أمَّا تقول: ربِّ زدني علمًا ربِّ علِّمني ربِّ فهِّمني وأنت لا تدرس وأنت لا تتعلَّم ليس هذا هو المقصود.

**المقصود:** أن تطلب ربك العلم وأن تبذل وتسعى جادًّا صادقًا في تحصيله.

أمَّا العلم الذي يوحيه الله-عزَّ وجل-فهذا للأنبياء ﴿ ... وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ... ﴿١١٣﴾ ﴾﴿النساء﴾، فالله-عزَّ وجلَّ-يصطفي من عباده رسل، يصطفي من عباده أنبياء ويترل عليهم الوحي ويعلِّمهم.

---

[3] يشير الشيخ-حفظه الله-إلى حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾﴿المؤمنون﴾ وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ... ﴿١٧٢﴾ ﴾﴿البقرة﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)(صحيح مسلم/ ٦٥-١٠١٥).

أمَّا غير الأنبياء فيحتاج، يحتاج العبد في تحصيل العلم إلى سلوك وسيلة العلم والحصول عليه وهو التعلُّم.

أمَّا ما يعرف مثلًا بالكشف، العلم اللدني، والأذواق، والرؤى والأحلام، فهذه ليست من مصادر العلم الشرعي، ليست مصدرًا معتبرًا للعلم الشرعي، لا كشف لا ذوق لا إلهام لا رؤى وأحلام، فالعلم قال الله قال رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-، فلا يعارض كتاب الله ولا سنَّة رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-بشيء من تلك المصادر المزعومة.

محل الشاهد من الآية على فضل العلم قوله-تعالى-: ﴿...وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾، ووجه الاستشهاد من هذه الآية على هذا المعنى أن الله-عزَّ وجل-أمر نبيَّه أن يطلبه الزيادة من العلم، فدلَّ ذلك على فضله وعلى عِظَم الحاجة إليه، ويزيد هذا المعنى تأكيد أن الله-عزَّ وجل-لم يأمر نبيَّه-صلى الله عليه وسلَّم-لم يرشد نبيَّه أن يطلبه الزيادة من شيء آخر غير العلم.

اقرأ القرآن، اقرأ السنَّة لا تجد فيها أن الله-عزَّ وجل-أمر نبيَّه أن يطلبه الزيادة من الأموال، الزيادة من الحظوظ الدنيويَّة، لأ، فهذا من أوضح الأدلَّة وأبينها على شرف العلم وعلى عظيم مكانته ﴿...وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾.

ثمَّ قال المؤلِّف: (...وقال-تعالى-: ﴿...قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ...٩﴾ ﴿الزمر﴾...)أهـ.

هذا أيضًا جزء من آية، وهذه الآية التي فيها هذا الجزء متعلِّقة بآية قبلها، قال الله- تعالى-: ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾﴿ الزمر ﴾.

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ... ﴾، مرض، فقر، موت عزيز أو نحو ذلك، ﴿ ... دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ... ﴾، تضرَّع إلى الله، رجع إلى الله، تذكَّر ربه الآن في وقت الشدَّة بعدما كان ناسيًا له في أيَّام وأوقات الرخاء.

﴿ ... ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ... ﴾، إذا زالت الكربة رجع، رجع إلى غفلته، رجع إلى لَهْوِه، رجع إلى كفره، رجع إلى إشراكه بالله ودعاء آلهة غير الله-سبحانه وتعالى-.

﴿ ... وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ... ﴾، أنداد يدعوهم ويعبدهم مع الله-سبحانه وتعالى-، يعني: في أيَّام الرخاء يدعو الله ويدعو الآلهة، عنده اللات عنده العزَّى عنده هُبَل يدعوها مع الله-عزَّ وجل-في أيَّام الرخاء، لكن إذا نزلت به شدَّة يخلص الدعاء لله-سبحانه وتعالى-، هذا كان حال المشركين الأوَّلين.

ثمَّ جاء أشخاص-جاء أناس-يقولون: لا إله إلا الله، ولكن اتخذوا أولياء، اتخذوا صالحين، اتخذوا قبورًا وأضرحة يدعونها ويستغيثون بها ويتضرَّعون إليها ولا سيَّما متى؟، في أوقات الشدَّة، إذا نزلت به الكربة الشديدة ما يتوجَّه إلى الله بالدعاء يتوجَّه إلى ذلك

المخلوق إلى ذلك الولي إلى صاحب ذلك الضريح يستغيث به وينادِيه ويطلب منه أن يكشف عنه ضرَّه.

وهذا موجود إلى وقتنا الحاضر، ومن هذا الوجه يكون شرك هؤلاء أعظم من المشركين الذين عاب الله عليهم في كتابه الكريم، أنَّهم كانوا يوحِّدون ويخلصون في الضراء ويشركون في السرَّاء، هؤلاء يشركون في الضرَّاء ويشركون في السرَّاء والعياذ بالله.

﴿ ... وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴾، يعني: تكون العاقبة أنَّه يضل عن سبيل الله، يَضِل في نفسه هو وأيضًا يُضل غيره مِمَّن يقتدي به ويتأثَّر بمثل عمله.

﴿ ... قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ... ﴾، هذا أسلوب تهديد ووعيد، ﴿ ... إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾، ليش؟، لأنَّه عمل الكفر، كفر بوحدانيَّة الله، أشرك مع الله آلهة أخرى.

ثمَّ قال-سبحانه وتعالى-: ﴿ ... أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ... ﴾ في القراءة الأخرى أمَنْ ﴿ ... هُوَ قَٰنِتٌ ... ﴾ يعني: قائم مطيع خاشع خاضع لله، ﴿ ... ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ... ﴾ ساعات ولحظات في الليل، ﴿ ... سَاجِدًا وَقَآئِمًا ... ﴾ يعني: حالة كونه منصوبة على الحاليَّة، حالة كونه ﴿ ... سَاجِدًا ... ﴾، وحالة كونه ﴿ ... وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ... ﴾.

يثني الله-عزَّ وجل-على هذا الصنف من الناس أنَّهم يطيعون ربَّهم ويعبدون ربَّهم في ظلمات الله، يتركون الفرش، يتركون النوم، ويتوضَّئون ويقومون يتهجَّدون لله، ومن

فعل ذلك فمعناه: إنَّه حريص على فعل الواجبات، على ترك المحرَّمات، مبادر إلى كثير من الخيرات.

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ... ﴾، يعني جمع بين الخوف وبين الرجاء، والخوف والرجاء-يعني-يخاف من الله-عزَّ وجل-لِمَا أتى من الذنوب لِمَا هو فيه من التقصير، ﴿ ...وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ... ﴾ يطمع في ربِّه أن يقبل عمله الصالح، يطمع في ربِّه أن يتقبَّل منه، يطمع في ربِّه أن يتجاوز عنه.

فهو بين الخوف وبين الرجاء، لا يغلِّب الخوف فيقع في القنوط واليأس من رحمة الله، ولا يغلِّب الرجاء فيقع في أي شيء، فيقع في المعاصي والتفريط والتهاون معتبرًا لنفسه بأنَّ الله واسع الرحمة، صحيح الله واسع الرحمة ولكن رحمة الله-عزَّ وجل-تنال بتقواه بفعل طاعته واجتناب معصيته ﴿ ...وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...﴿١٥٦﴾ ﴾ ﴿ الأعراف ﴾.

**من الناس من يقول:** نحن نعبد الله لا خوفًا من عقابه ولا طمعًا في ثوابه!.

طيب ليش تعبد؟، على أي أساس؟، قال: محبَّة فيه فقط، هذا التقرير باطل، فالذي لا يخاف من الله-والعياذ بالله-لا يرجوا الله هذا مذموم في كتاب الله-عزَّ وجل-وفي سنَّة رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم-.

الله-عزَّ وجل-وصف بعض أنبيائه فقال: ﴿ ...وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ﴿ الأنبياء ﴾، فلا بد من الخوف ولا بد من الرجاء.

ويحذر المسلم أن لا يطغى، أن لا يطغى جانب الخوف فيقع في القنوط، وأن لا يطغى جانب الرجاء فيقع في التفريط والتضييع.

﴿ ...قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ... ﴾ يعني:

**أولًا:** هل يستوي هذا المؤمن؟، هل يستوي هذا الكافر الذي جعل لله أندادًا هل يستوي مع المطيع الموحِّد لله؟، الجواب: لا، لا يستوون عند الله.

**ثمَّ سؤال آخر:** هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟، ترك الله-عزَّ وجل-الجواب لأنَّه معروف، لأنَّه معلوم لا يستوي هذا وهذا.

﴿ ...قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ ... ﴾، يعني: يعلمون أسماء ربِّهم، وصفات ربِّهم-سبحانه وتعالى-، ويعلمون أحكام ربِّهم-عزَّ وجل-، يعلمون جزاء ربِّهم-عزَّ وجل-، هل يستوون من لا يعلم؟، مع من يجهل أسماء ربِّه!، يجهل صفات ربِّه!، يجهل دين ربِّه-عزَّ وجل-!، يجهل حقوق الله-عزَّ وجل-عليه!، ما يستوي هذا وهذا، وترك الجواب-كما قلنا-للعلم به، فكل أحد يقول: لأ، لا يستوون.

﴿ ...إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾، الذين يتَّعظون وينتفعون بِمَا أنزل الله من الذكرى في كتابه أصحاب العقول.

طيِّب، من هؤلاء ﴿ ...أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾؟، من هم؟، هل هم الذين يأخذون امتياز في الدراسة؟، الذين ينالون على أعلى الشهادات؟، لأ.

المقصود بـــ ﴿ ...أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾: الذين يعقلون عن الله-عزَّ وجل-وعن رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-ويعملون بِمَا علَّمهم الله، هذا هو العاقل الذي آمن وعمل صالحًا واتَّقى ربَّه هذا هو صاحب اللب، هذا هو صاحب العقل، هذا هو صاحب الفهم.

أمَّا الكافر المعرض المدبر عن الله-عز وجل-فهذا لا عقل له وإن كان من أذكى الناس في الموازين الدنيويَّة.

هؤلاء الكفَّار إذا جاؤوا يوم القيامة ووردوا النار ماذا يقولون؟، ﴿ ...لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾[الملك]، شوف ﴿ ...أَوۡ نَعۡقِلُ... ﴾ حكموا على أنفسهم بأنَّهم كانوا لا يعقلون-لا عقول لهم-، ليه؟، لأنَّهم ما استفادوا من عقولهم، ما استفادوا منها فأعرضوا عن كتاب الله وعن سنَّة رسول الله-صلى الله عليه وسلَّم- تنكَّبوا صراطه المستقيم فأوردهم ذلك نار جهنَّم والعياذ بالله.

ثمَّ أورد المؤلِّف الآيـــة الثالثـــــة وهي مـــن سورة الْمُجَادِلة: (...وقال-تعالى-: ﴿ ...يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ...﴿١١﴾ ﴾[المجادلة] ...)أهـــ.

يقول الله-عزَّ وجل-في هذه الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾[المجادلة].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ﴾، ينادي الله-عزَّ وجل-عباده يوصف الإيمان حتَّى يكون هذا أدعى للاستجابة، فإنَّ من صفات المؤمن أن يستجيب لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلَّم-.

**مثل ما يقول شخص:** يا أهل الكرم، يا أهل الجود، يا أهل البذل والندى أنا بحاجة إلى مساعدتكم، لماذا اختار هذه الأوصاف يا أهل الكرم يا أهل الجود يا أهل البذل؟، حتَّى يكون تذكيرهم بهذه الأوصاف أدعى إلى تلبية طلبه.

فالله-عزَّ وجل-قبل أن يأمر نادى عباده بهذا الوصف حتَّى يتذكَّر المسلم أنَّ اتصافه بوصف الإيمان يدعوه إلى أن يستجيب وإلى أن يمتثل بل أن يسارع ويبادر إلى الامتثال.

وهذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ﴾ ينبغي للمسلم إذا سمعه أن يصغي إليه كما يقول ابن مسعود: فإنَّه خير تدعى إليه أو شر تُحذَّر منه.

وقوله: ﴿ ...ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... ﴾ يدخل فيه أهل الإيمان كلهم، أصحاب الإيمان الكامل، أصحاب الإيمان الناقص، الجميع كلٌّ المؤمنين مطالبون بدين الله—عز وجل-.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ... ﴾، ﴿ ...إِذَا... ﴾ ظرف لِمَا يستقبل من الزمان تتضمَّن معنى الشرط، هي في النثر ليست شرط-في النثر لا تعمل عمل الشرط-يعني: لا تجزم فعلها ولا جوابها، أدوات الشرط تجزم الفعل وتجزم الجواب (إن تقم أقم)، إذا تكون جازمة متى-تعمل عمل الشرط متى-؟، إذا جاءت في الشعر، فالعرب تُعْمِلها تجعلها شرطيَّة وتعطيها عمل أدوات الشرط، لكن إذا جاءت في النثر فهي معناها معنى الشرط لكن لا تعمل.

﴿ ...إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ... ﴾، ﴿ ...قِيلَ... ﴾ ما أدري لِمَا لم يسمَّى فاعله، ﴿ ...إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ... ﴾ بمعنى توسَّعوا، أنتم جالسون في مجلس دخل عليكم داخل فتفسَّحوا لأخيكم ووسِّعوا له هذا من الآداب-من آداب المجالس-، والمجالس لها آداب كثيرة، المجالس التي نجلسها لها آداب كثيرة منها مثلًا من باب التذكير والشيء بالشيء يذكر:

أنَّك إذا دخلت على قوم تسلِّم عليهم، وإذا اردت أن تقوم تسلِّم، فتدخل بالتسليم وتخرج أيضًا من هذا المجلس مُسَلِّم، وفي الحديث (...فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ)[٤]، يعني: كما شرع لك أن تسلِّم عند الدخول فأيضًا سلِّم عند الخروج.

من آداب المجلس أن تجلس حيث ينتهي بك المجلس، من آداب المجالس ومن أهمِّها أن لا يخلو المجلس عن ذكر الله-سبحانه وتعالى-فإنَّ المجالس التي تخلو من ذكر الله تكون على أصحابها حسرة وندامة يوم القيامة، وفي الحديث[٥]: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْلِسُونَ مَجْلِسًا ثُمَّ يَقُومُوْنَ لِمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، يعني: حسرة وندامة، في الحديث الآخر: (...إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ...)[٦] ريحة منتنة يقومون عنها في هذا المجلس الذي خلا عن ذكر الله-عزَّ وجل-.

فهذه آداب أدَّب الله-عزَّ وجل-بها عباده، وهذا الحكم وأمثاله يفيدنا أنَّ دين الله-عزَّ وجل-دينٌ كامل تضمَّن كل ما يصلح أحوال العباد فلم يغفل حتَّى مسألة هذه المجالس ماذا نفعل وماذا نترك، فما هو الظن بِمَا هو أعظم وأجل من ذلك من شؤون الحياة.

---

[٤] (سنن أبي داوود/ ٥٢٠٨)

[٥] (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ): هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه]، عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: تِرَةً: يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِالعَرَبِيَّةِ: التِّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ)(سنن الترمذي/ ٣٣٨٠)

[٦] (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [رضي الله عنه] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً)(الآداب للبيهقي/ ٢٥٨)

﴿ ...إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ افسحوا فعل أمر، ﴿ ...يَفْسَحِ... ﴾ هذا جواب فعل أمر مجزوم لأن الفعل إذا جاء جوابًا لطلب يكون مجزوم، ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ...﴿٣٠﴾ ﴾﴿ النور ﴾، ﴿ ... يَغُضُّواْ ... ﴾ جواب لــ ﴿ ...قُل ... ﴾.

﴿ ...فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾، طيب الفعل المضارع إذا كان مجزوم يُسَكَّن- يسكن آخره-، ليش هنا الحاء مكسورة ﴿ ...يَفْسَحِ... ﴾ ؟، تحاشيًا للالتقاء؟، الساكنين، فجاءت الكسرة.

﴿ ...فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾، طيب تأمَّلوا هل قال الله يفسح الله لكم في المجالس؟، لأ، حذف الشيء الذي يحصل فيه الفسح حتَّى يشمل المجالس وغير المجالس، وهذا من بلاغة القرآن الكريم إنَّه يحذف الشيء حتَّى يكون المعنى أعَم وأشمل.

مثل ما قال الله-عز وجل-:﴿ ...أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ...﴿٨٢﴾ ﴾﴿ الأنعام ﴾، طيب الأمن من أي شيء؟، حتَّى يشمل ﴿ ...ٱلْأَمْنُ... ﴾، الفقر مثلًا، الأمن من تسلُّط العدو، الأمن من المجاعات، الأمن من كذا الأمن من كذا كل ما يخاف منه.

هنا قال: ﴿ ...فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ يعني: في المجالس في صدوركم في علومكم في أرزاقكم في أعماركم كل هذه الاحتمالات التي تصلح واردة، ﴿ ...فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ... ﴾.

﴿ ...وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ... ﴾ إذا قيل لكم: قوموا، النشوز معناه في لغة العرب: الارتفاع ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا ... ﴿١٢٨﴾ ﴾﴿ النساء ﴾ تعالي وتكبُّر عليها، تقصير في حقوقها.

﴿ ...وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ... ﴾ يعني: قوموا ﴿ ...فَٱنشُزُواْ... ﴾ لا تغضب، لا تزعل، لا يقع في صدرك على أخيك، لعلَّه-يعني-عنده عذر، عنده عمل، عنده شغل، عنده ارتباط، عنده أشياء يحتاج إلى هذا الوقت الآن لينظر في أموره وفي خاصَّة نفسه، ﴿ ...وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ... ﴾ فإن قيل لك: تفضل اخرج، اخرج ولا يكن في صدرك على أخيك.

الصحابة الذين كانوا يدخلون على النبي-صلى الله عليه وسلَّم-ويأكلون عنده أدَّبهم الله وعلَّمهم، أدَّبهم أنَّهم إذا طعموا ماذا يفعلون؟، ﴿ ...فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ ...﴿٥٣﴾ ﴾﴿ الأحزاب ﴾، لأنَّ جلوسكم بعد الطعام عند النبي-صلى الله عليه وسلَّم-وتأخركم عنده يحصل على الرسول من ورائه وبسببه عَنَتْ وأذى ومشقَّة، فربَّمَا ما يصارحكم ما يقول لكم: قوموا ﴿ ...إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ...﴿٥٣﴾ ﴾﴿ الأحزاب ﴾.

﴿ ...وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ... ﴾ وكما قلنا النشوز معناه إيش؟، معناه: الارتفاع، لهذا قال: ﴿ ...يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ... ﴾ يعني المناسبة بين يرفع وبين ينشز ما هي؟، أن كلاهما في معنى إيش؟، معنى الارتفاع، فإذا قمت ارتفعت، قال الله-عزَّ وجل-: ﴿ ...يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ... ﴾ هذه الجملة فيها ترغيب في الامتثال لِمَا

أمر الله-عزَّ وجلَّ-به، فالمؤمن هو الذي يصدِّق ويخضع ويمتثل ويعمل بِمَا أمره الله به أو أمره به رسوله-صلى الله عليه وسلَّم-، فإذا فعلت ذلك يا عبد الله رفعك الله.

﴿ ...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ درجات، ثمَّ-يعني-لم يعدِّد-لم يذكر-عدد هذه الدرجات ولا مقدارها لماذا؟، لأنَّه هذه الدرجات تتفاوت بتفاوت الإيمان وتفاوت العمل الصالح، فكل ما كان الإيمان أعظم والعلم أعظم وأكثر نفعًا كلَّمَا كانت الدرجة أعلى وأرفع عند الله-سبحانه-.

﴿ ...وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾﴿ المجادلة ﴾، خبير-سبحانه وتعالى-، الخبرة: العلم ببواطن الأمور، فالله-سبحانه وتعالى-عليم وخبير وهو يعلم-سبحانه وتعالى-مَن الذي يصلح أن يعطى الإيمان ويعطى العلم ومن لا يصلح لذلك.

ثمَّ قال المؤلِّف-رحمه الله-: (...وقال-تعالى-: ﴿ ...إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ...﴿٢٨﴾ ﴾﴿ فاطر ﴾...)أهـ.

سياق الآية الكريمة قال الله-عزَّ وجل-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾﴿ فاطر ﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ... ﴾ يعني: ألَمْ تعلم، الرؤية هنا المقصود بها: الرؤية العلميَّة، ﴿ ... أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ يعني: السحاب، ﴿ ...مَآءً ... ﴾ يعني: المطر-الغيث-، فالسماء هنا معناه السحاب، الماء هنا المقصود به الغيث-المطر-، ﴿ ... فَأَخْرَجْنَا ... ﴾

هذه تسمَّى في اللغة إيش؟، تسمَّى التفاف أوَّل قال: ﴿ ...أَنزَلَ ... ﴾ فعل ماضي ﴿ ... أَنزَلَ ... ﴾ ثمَّ قال: ﴿ ...فَأَخْرَجْنَا ... ﴾ جعل الضمير ضمير للمتكلِّم هناك للغَيْبَة ﴿ ... أَنزَلَ ... ﴾ هنا للمتكلم التفات من الغَيْبَة إلى الحضور حتَّى يدل على مزيد من عناية بهذا الأمر.

﴿ ...فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ... ﴾ أحمر أصفر وغير ذلك من الألوان، وكذلك-يعني-وجه الآية فيها أنَّ الماء واحد والتربة واحدة ولكن الثمرات التي تخرج مختلفة، من الذي فارق بينها وخالف بينها وجعل لهذا شكل وجعل لهذا لون وجعل لهذا طعم وجعل لهذا رائحة يختلف به عن غيره؟، الله-عزَّ وجل-، وهذا دليل على حكمة الله-سبحانه وتعالى-وعلى كمال قدرته.

قال: ﴿ ...وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ يعني: كما جعل الثمرات مختلفة كذلك جعل الجبال إيش؟، جعل الجبال مختلفة، هذا جبل أسود، هذا جبل أحمر، هذا جبل أبيض.

﴿ ...وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ ... ﴾ جُدَدْ جمع جُدَّة مثل مُدَدْ جمع مدَّة، والمقصود بالجدد يعني: الخطوط التي تكون في الجبال عروق، أو طرق تشقُّ فيها حين شقُّ الطرق تتميَّز يعني ألوانها بالنظر إلى الصخور التي وقع فيها الحفر.

المهم: أنَّ هذه الجبال أيضًا مختلفة الألوان، وقوله: ﴿ ...وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ يعني: شديدة السواد، العرب تقول: أسود غربيب يعني: شديد السواد.

قال: ﴿ ... وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ ... ﴾ فالله-عزَّ وجل-فارق-خالف-بين الألوان والألسن والعادات والطباع، وهذا كلُّه دليل على حكمته ودليل على أيضًا كمال قدرته.

﴿ ...إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ... ﴾ فالذين يتأمَّلون في أحكام الله ويتأمَّلون في خلق الله-عزَّ وجل-ويستفيدون من العظة والعبرة وتورثهم خشية الله-عزَّ وجل-والخضوع له هؤلاء هم الذين ينتفعون ويستفيدون مِمَّا علَّمهم الله-جلَّ جلاله-.

أمَّا من ينظر في هذه الأشياء نظر غفلة، أو يقرأ الآيات والأحاديث ولكن أيضًا تَمُر على قلبه وهو غافل لاهٍ لا تورثه إيمان ولا تقوى ولا امتثال فهذا ليس بعالم، العالم الحق هو الذي يخشى الله ﴿ ...إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ... ﴾.

**والمقصود يعني**: الخشية الكاملة، الخشيَّة النافعة الدرجة العالية منها، وإلَّا كل مؤمن كل موحِّد له نصيب من الخشية، كل موحِّد له نصيب من الخشية، لكن الخشية الكاملة الخشية النافعة نفعًا عظيمًا هي التي تكون في قلوب العلماء ﴿ ...إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ... ﴾، فكل ما كان بالله أعلم كان له أخشى.

﴿ ...إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾ ﴿ فاطر ﴾ إذن: من تعلَّم ولكن ما خشي الله فليس بعالم، من تعلَّم وتعلَّم وتبحَّر في العلوم لكن ما يخاف الله لا يخشى من الله ليس بعالم، قارئ مطَّلع ونحو ذلك من الأوصاف لكن أن يكون عالم كما أراد الله وكما أمر الله لأ.

﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ... ﴾، ﴿... عَزِيزٌ... ﴾ لا يغلب، ﴿... غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يتجاوز عن عباده ويكفِّر عنهم سيِّئاتهم، فهو أهلٌ أن يخشى وأن يتَّقى وأن يُخَاف منه-سبحانه وتعالى-.

نسأل الله-عزَّ وجل-أن يَمُنَّ علينا وعليكم بالإيمان الصادق وبالعلم النافع، وأن يجعلنا وإيَّاكم مِمَّن يستمع القول فيتَّبع أحسنه، هذا والله أعلم، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد.

- **السؤال الأول:**

**هذا سائل يقول:** ما علاقة أوَّل آية المجادلة بآخرها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ... ﴾﴿ المجادلة ﴾؟.

- **الجواب:**

أظن تكلَّمنا عن الآية وما أدري لعلَّ هذا السؤال قبل أن نتكلَّم عنها.

**المقصود:** أن الله افتتحها بالنداء بوصف الإيمان حتَّى يكون هذا أدعى إلى الامتثال وإلى القبول.

ثمَّ الآية: يعني قوله: ﴿ ...تَفَسَّحُواْ... ﴾ وقوله: ﴿ ...فَٱنشُزُواْ... ﴾ كلُّها في آداب المجالس، فإن قيل لك: تفسَّح في المجلس، افسح ووسع لأخيك الداخل، وإن قيل لك: قم أو اخرج أو انصرف، فأيضًا امتثل ولا تغضب على أخيك فلعلَّ له عذر في هذا.

- **السؤال الثاني:**

**يقول:** ما هي علامة العلم النافع؟.

- **الجواب:**

**أوَّل شيء:** العلم النافع هو: علم الكتاب والسنَّة، وما كان وسيلة إليهما.

لا يكون العلم نافعًا حتَّى يورث العمل، فإذا أورثك العلم عملًا تتعلم وتعمل بِمَا علَّمك الله، ومن ذلك: أنَّك تدعو أيضًا إليه وتعلَّمه الناس كان هذا علمًا نافعًا.

أمَّا تتعلَّم تتعلَّم ولا تمتثل أنت في نفسك، أو تعمل ولكنَّك لا تدعو ولا تُعلِّم فهذا العلم ليس بنافع وربَّمَا يكون حجَّة عليك وبالًا عليك والعياذ بالله.

- **السؤال الثالث:**

**يقول:** هل العلم معرفة المسائل دون العمل بها؟.

- **الجواب:**

لأ، لا بد من الجمع بين الأمرين بين العلم والعمل، وتقريبًا-يعني-عامَّتكم قرأ تفسير سورة العصر وعرف أنَّه لا بد في الفوز والسلامة من الخسارة أن يجمع بين الإيمان والعمل والدعوة والصبر على ذلك كله.

- **السؤال الرابع:**

**يقول:** من المعلوم أنَّ فاعل الحلال لا يثاب ولا يعاقب، فكيف يجمع بين هذا القول وبين جواب النبي-صلى الله عليه وسلَّم-: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهِ وِزْرٌ)[٧]؟.

**الجواب:**

[٧] (صحيح ابن حبان/ ٤١٦٧)

لأ، النبي-عليه الصلاة والسلام-يقول: (فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) فجعل الجماع أجر وثواب، فهو حلال بمعنى: أنَّه ليس بحرام، لكن هو درجة-أعلى درجة-من كونه حلال وهو أنَّ فيه صدقة.

وبعض أهل العلم بمثل هذه النصوص يقول-يعني-: إذا أراد بها نيَّة صالحة، يعني: كان يقصد بذلك أن يعفَّ نفسه عن الحرام، أن يؤدي الواجب الذي عليه لأنَّه لو لم يأتي أهله لأضرَّها بذلك ووقع أيضًا في حرام و لم يعاشر بالمعروف.

فمن أهل العلم من يقول: أنَّه لا بد أن يستحضر مثل هذه النيَّات حتَّى يؤجر إذا فعل-يعني-إذا وطئ الرجل أهله فله صدقة-له أجر-، إن استحضر مثل هذه النيَّات كان الأجر أعظم، حتَّى اللقمة تضعها في فم امرأتك صدقة فنفقة الرجل على أهله-نفقته عليهم-فيها صدقة فيها أجر، منهم من يقول: فيها أجر إذا احتسب، منهم من يقول: إن احتسب-يعني-تذكَّر واستحضر زاد الأجر زادت المثوبة، وإلَّا فإنَّه مأجور لأنَّه لو ترك وفرَّط في هذا وقع في الإثم.

والله أعلم، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد.

قام بتفريغه: أبو عبيدة منجد بن فضل الحداد

الثلاثاء الموافق: ٢/ ذو القعدة/ ١٤٣٣ للهجرة النبويَّة الشريفة.